

المحور الخامس: النظريات التي تفسر حرية الصحافة

تمهيد: صحافة كل دولة هي انعكاس لصورة الحكم في تلك الدولة، وعلى هذا ظهرت مجموعة من النظريات هذه النظريات هي التي تستخدمها كل دولة للتعبير عن أيديولوجيتها في عملية التنشئة الاجتماعية السياسية.

وأهم الدراسات التي كان لها دور في بحث أسس هذه النظريات الدراسة التي أجراها الإعلاميون الأمريكيون (سيبرت) و(شرام) و(بترسون) عام 1956م، وقد نالت هذه الدراسة اهتماماً كبيراً من الباحثين، وتصدّرت الساحة النظرية في مجال النظريات الإعلامية ردحاً من الزمن، وتركت آثارها الكبيرة على كل الأعمال التنظيرية التي تلتها..

تعريف النظرية: يطلق مصطلح (نظرية الإعلام) حالياً على الفروض العلمية التي توصل إليها الباحثون في العملية الإعلامية، والتي توضّح طبيعة التفاعل بين مكوناتها والقوى التي تتحكم فيها، ودور أجهزة الإعلام في هذه العملية.

- أولاً : نظرية السلطة أو النظرية السلطوية :

1-تاريخها: تعدّ نظرية السلطة أولى النظريات الإعلامية نشوءاً، فلقد نشأت في إنجلترا في القرنين السادس عشر والسابع عشر، واستمرّت في الدول التي مؤرس فيها حكم سلطوي. وللأسف السياسية لفكرة السلطة تاريخ طويل، يمكن تتبعه حتى نصل إلى نظرية أفلاطون الذي يعدّ أكبر مناصر للقانون والنظام، والمدافع عن حكم الأرستقراطية الفاضلة، والذي كان يرى أنه عندما تقسم السلطة بالتساوي في الدولة، فإن بذور انهيار وتفتك الدولة تكون قد بدأت، وإن الجماهير غير قادرة تعليمياً ونفسياً وعقلياً على اتخاذ قرارات تتعلق بأمورهم وحياتهم، ويعلّل أفلاطون ذلك بالقول: (ما دام الإنسان يحب أن يحكم غرائزه وشهواته عن

طريق التحكم العقلي، فإن على حكام الدولة بالمثل أن يمنعوا المصالح المادية والعواطف الأنانية للجماهير من أن تسيطر على المجتمع).

2. مبادئها:

- مذهب الحق الإلهي: الذي اعتمد عليه الملوك في الحكم وتوارثه النبلاء، واحتفظ هؤلاء عن طريقه بأوضاعهم ومراكزهم السياسية.
- الكنيسة الرومانية: وقد كان لها في القرون الوسطى سلطات واسعة وهيمنة كبيرة شملت الملوك، حتى إنها عزلت بعضهم وحرمت آخرين من الجنة، حسب أوهامهم التي ابتدعوها، وسبب هذه الهيمنة هو ادعاء رجال الكنيسة السلطة الإلهية انطلاقاً من فكرة اللاهوت!
- التاريخ الطويل للفلسفة السياسية لفكرة التسلطية، والتي يمكن ردّها إلى أفلاطون.

3. خصائصها الإعلامية:

- **تقييد التراخيص:** وكانت هذه الأنظمة تمنح الرخص لمن تطمئن إلى ولائهم لها، وتمنعها عن الذين تشك في ثقتهم وإخلاصهم لها. عن طريق إصدار التراخيص للطابعين والناشرين.
- **تشديد الرقابة:** حيث عيّنت الحكومة الرقيب الذي يراجع ما تكتبه الصحف في أمر السياسة والدين مراجعةً دقيقةً، وفي القرن السابع عشر ازدادت المطبوعات زيادةً كبيرة، جعلت الرقابة عليها شبه مستحيلة، ثم جدّت عوامل أخرى، أدّت إلى فشل نظام الرقابة حينذاك، ومن أهمها ظهور الأحزاب السياسية، وممارستها العمل الإعلامي المتمثل في الصحف والنشرات.
- فرض العقوبات: بعد أن وجدت الأنظمة التسلطية أن الرقابة على المطبوعات صارت أمراً صعب التطبيق، فرضت عقوبات رادعة على المطبوعات المخالفة، لتوجهاتها ومبادئها، والتي تتضمن . على سبيل المثال . هجوماً على السلطة، أو انحرافاً عن السياسة الرسمية، أو انتهاكاً للسلوك الأخلاقي.

- شراء الأقلام: عمدت الأنظمة التسلطية إلى منح الأموال السرية لأصحاب الصحف لشراء ذممهم وضمائيرهم، وضمنت بذلك شراء صحف مشهورة، وأقلام موجهة، بدلاً من أن تُصدر صحفاً رسمية بأقلام رسمية.

- فرض الضرائب: سنّت الأنظمة التسلطية تشريعاً يقضي بفرض ضرائب على الصحف والنشرات، بهدف إرهاقها مالياً، أو تخفيف نقدها لها.

- مركزية المعلومات: جعلت هذه الأنظمة من نفسها المصدر الوحيد للحقائق والمعلومات، ومن ثم لا يحق لوسائل الإعلام أن تنشر شيئاً لا يكون مصدره النظام وأجهزته الرسمية، أو دون موافقتها على النشر إن كانت هذه الوسائل حصلت في هذه النظرية؟

ثانياً: نظرية الحرية في الإعلام:

1- تاريخها

شكلت التصورات التي انطلقت في أوروبا في القرنين الثامن والتاسع عشر نقطة انعطافٍ مهمة في تاريخ نظرية الحرية، وخاصة الثورة الفرنسية التي انطلقت عام 1789م، وأعلنت حقوق الإنسان، وكان لها مفهوم اقتصادي مفاده: ترك الفرد حراً في مزاولته نشاطه الاقتصادي، ونشاطه الفكري، دون أيّ تدخل من جانب الدولة في هذا النشاط، بأي شكلٍ من الأشكال.

ومع انتشار مبادئ هذه النظرية واتساع رقعتها أخذت دول أوربة الغربية تنتهج سياسة عامة لها، ثم خطّت دول أخرى خطوطها، كالولايات المتحدة واليابان وعدد من دول أوربة الشرقية بعد تفكك الاتحاد السوفياتي، في بداية التسعينيات.

2- مبادئها:

وملخص هذه النظرية: أن الإنسان مخلوق يسيّره العقل لا العاطفة، والعقل من طبيعته البحث عن الحقيقة، وهذا يؤدي إلى معرفة قوانين الطبيعة، فالحقيقة تستمد من عقل الإنسان لا من السلطة الحاكمة، والإنسان أيضاً كائن أخلاقي، والأخلاق هي التي تحدّد التزاماته

نحو الآخرين. وتأثرت بآراء عدد من كبار الفلاسفة الغربيين، في السياسة والاقتصاد والتربية، منهم آدم سميث وجون لوك وجون ملتون وديكارت ولامارك ونيوتن.

3- خصائصها الإعلامية:

تستند الفلسفة الإعلامية لنظرية الحرية إلى إبعاد كل أنواع سيطرة الحكومة وتحكمها في وسائل الإعلام. فيما عدا بعض التدخل فيما يخص قوانين القذف والخلاعة، وذلك بهدف إنشاء سوق حرة للأفكار، وإتاحة الفرصة لما يسمى بعملية التصحيح الذاتي للمجتمع، والتفكير من خلال الحوار، وتبادل الأفكار، وأهم الخصائص الإعلامية لهذه النظرية، هي:

- التحرر من الضوابط الرقابية.
- حرية التراخيص.
- التركيز على الجانب المادي.
- استخدام المعايير المهنية.
- استخدام المواد الإعلامية.
- وضع قيود على تملك الحكومات للصحف.
- حماية مالكي وسائل الإعلام.
- الانعتاق من قيود النشر.

ثالثا - نظرية المسؤولية الاجتماعية في الإعلام

تدهورت نظرية الحرية ما بين دعاة الحرية المطلقة ودعاة الحرية المقيدة، وكانت هذه مجرد مناقشات نظرية وثبت انه لا يمكن أن توجد حرية مطلقة ومن ثم ارتفعت الأصوات بعد الحرب العالمية الثانية تحتج على ما وصلت إليه حالة أجهزة الإعلام في ظل هذه النظرية وأدت هذه الحركة إلى تكوين كثير من الأحيان للتحقيق في تلك البلدان وإيجاد علاج للوضع كله (13).

(13) / عزيزة عبده، الاعلام السياسي والرأي العام ، ط1، دار الفجر للنشر والتوزيع ، القاهرة ، 2004 م ، ص 93.

خصائصها الإعلامية:

فهذه النظرية تعقد صلحاً بين ثلاثة مبادئ، هي: مبدأ الحرية الفردية والاختيار، ومبدأ حرية الصحافة، ومبدأ التزام الصحافة تجاه المجتمع.

- إن وسائل الإعلام ليست ذاتية بقدر ما هي موضوعية.
- حيادية وموضوعية وسائل الإعلام تجاه الحكومات والقضايا الخلافية على مستوى المجتمع.
- تعدد وسائل الإعلام بحيث تعكس تنوع الآراء والأفكار في المجتمع.
- التنديد بالأعمال الصحفية المنحرفة، والتي تحارب الأخلاق والقيم.
- الالتزام بمجموعة من المواثيق الأخلاقية، ليتمّ التوازن بين حرية الأفراد ومصالح المجتمع.
- تجنّب كل ما من شأنه أن يساعد على حدوث الجرائم والعنف، وسيادة لغة البطش.
- الحفاظ على النظام السياسي القائم.
- يجب أن يكون الإعلاميون مسؤولين أمام المجتمع.
- خدمة النشاط الاقتصادي وزيادة مساهمته في الناتج الوطني الإجمالي.
- تقديم برامج وألوان التسلية والترفيه.

رابعاً- النظرية الاشتراكية والسوفيتية الشيوعية:

- يعد الفيلسوف الألماني (هيجل) أول من نادى بمبادئ النظرية الاشتراكية، ثم جاء (ماركس) فتنبّأ آراء (هيجل) وزاد عليها، لذلك يُعتبر (ماركس) منظر وفيلسوف هذه النظرية، حيث جادل كثيراً في الجدلية المادية التاريخية.

خصائص هذه النظرية الإعلامية:

- الملكية: فهي عامة وتامة للدولة، وبالتالي يُسمح فقط للحزب الشيوعي، والحكومة التي يسيطر عليها هذا الحزب، وهذا ما عبّر عنه (لينين) بالقول: إن الجرائد ينبغي لها أن تُصبح الألسنة الناطقة بمختلف تنظيمات الحزب.
- الرقابة: وهي رقابة كلية من قبل الحزب الحاكم، حتى الصحف والمجلات والمراسلين ووكالات الأنباء الأجنبية، فتمارس عليها رقابة شديدة.
- النقد: يُمنع نقد الحكومة أو الحزب، ويُسمح بنقد البرامج التنفيذية فحسب.
- الإعلاميون: حسب تعبير (خروتشوف): يستحيل علينا أن نترك الصحافة في أيدي غير أمينة، فهي لا بدّ أن توضع في أكثر الأيدي أمانة، وأجدرها بالثقة.

جدول مقارنة بين النظريات الأربع

وجه المقارنة	السلطوية	نظرية الحرية	النظرية الشيوعية	المسؤولية الاجتماعية
متى ظهرت وتطورت	في إنجلترا في القرنين السادس عشر والسابع عشر. ولا زالت تمارس في النظم الدكتاتورية الحديثة وأمريكا اللاتينية	تم تبنيها في إنجلترا في عام 1866م والولايات المتحدة الأمريكية وتطورت في الدول الغربية والدول المؤيدة لها	في الاتحاد السوفييتي بعد عام 1917م وانتشرت في أوروبا الشرقية والدول الشيوعية انحصرت بعد انهيار الاتحاد السوفييتي في دول قليلة مثل كوريا الشمالية وكوبا والصين	ظهرت في الولايات المتحدة في القرن العشرين
فلسفتها الأساسية	فلسفة السلطة المطلقة للملك أو لحكومة الملك أو الاثنين معا	كتابات ميلتون ولوك ميل وفلسفة العقلانية والحقوق الطبيعية	الفكر الماركسي مختلطا بفكرة استخدام وسائل الاعلام في التنمية وكتابات شرام وليرنر	كتابات هوكنج، وتقرير لجنة حرية الصحافة، ومواثيق الشرف الاعلامية والممارسات الصحفية
الهدف الرئيسي	دعم ومساندة سياسات الحكومة التي تتولى السلطة، وخدمة الدولة	تحقيق وظائف الاعلام والترفيه والترويج الاقتصادي بهدف مساعدة الجماهير على اكتشاف الحقيقة والرقابة على الحكومة	تشجيع الوحدة الوطنية ودعم التنمية الاجتماعية والسياسية والاقتصادية	تحقيق وظائف الاعلام والترفيه والترويج الاقتصادي، بهدف اقامة حوار حر داخل المجتمع
من يملك حق استخدام	كل من يحصل على امتياز ملكي أو تصريح	أي شخص لديه الامكانيات الاقتصادية لذلك	الحكومة لها الحق في امتلاك او السيطرة على	أي شخص لديه شئ ليقوله عبر وسائل الاعلام

وسائل الاعلام		وسائل الاعلام لاستخدامها لصالح الشعب	
كيف يتم التحكم في وسائل الاعلام	التراخيص الحكومية، الاتحادات والنقابات، والرقابة	من خلال السوق الحر للافكار ومن خلال المحاكم	من خلال الحكومة او حزب الحكومة بالاضافة الى القيود القانونية
الممنوعات	نقد النظام السياسي أو الأشخاص الذين لا زالوا في السلطة	القذف والتشويه لسمعة الافراد دون ادلة والاباحية وقلة الاحتشام والتحريض على الفتنة والعصيان في وقت الحرب	تحدي السلطات ونشر اخبار ومعلومات تهدم جهود التنمية
الملكية	ملكية الدولة – وملكية خاصة	ملكية خاصة	ملكية خاصة وملكية الدولة وغالبا تكون ملكية الدولة
الاختلافات الاساسية	أداة لتفعيل السياسات الحكومية، ولذلك ليس من الضروري أن تمتلكها الحكومات	الاعلام اداة للرقابة على الحكومة وتحقيق حاجات المجتمع وافراده الاعلاميين	الاعلام ثروة قومية يجب ان تستخدم في التنمية والمصالح العامة للمجتمع تتقدم على المصلحة الخاصة للأفراد
			الإعلام يجب أن يلتزم بمسؤوليات اجتماعية، وإذا لم يقم بذلك فإن الدولة يجب ان تتدخل للتحقق من قيامه بذلك